عامر بو عزة

مشهد خلفي لما حدث

(١ حزيران ١٩٩٤)

عندما كان محمود درويش يقرأ كلمته التي ودع فيها باسم الفلسطينيين أرض تونس وأهلها في مفتتح سهرة دُعي إلى إحيائها بالمسرح البلدي برفقة سميح القاسم، طفرتْ منه دمعة رحَّبَ بها الجمهورُ طويلاً...

كنتُ آنذاك وراء الستار أرقب آلة التسجيل التي غامرتُ بوضعها فوق المنصة مباشرة بعد لحظات من انطلاق الحفل...

ولذا.. أزعم أني رأيت المشهد الخلفي لما حدث...)

نتوّج هذا الوداعَ بنرجستين
ندافعُ عنْ حق سنبلةٍ في شعاعٍ من الحلمِ
عن حق أغنيةِ الروحِ في الشفتين
نودّعُ...
هل كنتما تدريانِ بأنَّ المسافةَ أضيقُ من دمعةٍ
هل تأملتما جيّداً مشهدَ الأرضِ في آخِرِ الحلُم الأمَريكيّ
هل كنتما وطناً يتوزعُ بينَ نشيديْن
أم كانت الكلماتُ اعتذاراً
وكان الزمانُ الأخيرُ غُبَارا؟...
نودّع...
حين نمدّ اليدين
وتطلقُ أم الشهيدِ الزغاريدَ في شاشةِ التلِفْزيُون.
مِنْ حَق كُل اليَتَامَى الذِينَ يَرَوْنَ عَلَى شَاشَةِ الحُلْمِ
أبَاءهم عائدين من الموتِ أن يَسْألوا:
ـ هل نصافح أعداءنا نحن أيضاً ونمضي سوياً إلى المدرسة؟
ـ هل نغادرُ هذا الهديلَ الذي تركته الحماماتُ
فوقَ سطوحِ مَعَارِكِنَا
ونعودُ لجغرافِيا الزمنِ العربي الجديدِ
حفاةً...
عراةً...
بِلاَ أسئِلة...؟

نودّع...
بيروتُ
بغدادُ
باريسُ
تونسُ

أسماءُ تغريبةِ الدَّمِ عن جُرْحِهِ الأوّلِ
مَرَايَا لِتَهْذِيبِ آرَائِهِمْ فِي معَاركِ طُلاَّبِنَا
(تتصادم فيها القذائف والأيديولوجِيَا)
سماءٌ
مقاهٍ
شوارعُ
تَكْفِي لإقْنَاعِ عصفورةٍ من فِلْسطِينَ
أنَّ الشَّتاتَ شَتَاتٌ
وأن الطريقَ إلى القدْسِ يبدأُ مِنْ ثَلْجِ أُوسْلُو...

نودّعُ...
هذا حزيرانُ
يأتي كَعَادَتِهِ مثخناً بالنُّبُوءَاتِ
ما أروعَ الشُّعَراءْ
حِينَ يَرْتجِلُونَ المَرَاثِيَ في دَمْعَةٍ
آهٍ قرطبةٌ
لم نعدْ مِثْلَما ينبغِي أنْ نَكُونْ
كَيْ نُغَنّي...

تونس